المجلد: 16 العدد: 3 الجزء: 2 في (2024 /7/1) Lark Journal
وقائع المؤتمر العلمي الثامن لكلية الاداب – جامعة واسط، بالتعاون مع مجلة لارك تحت شعار (المسارات المعرفية للعلوم الانسانية والاجتماعية الواقع وآفاق الريادة، المنعقد بتاريخ (2024/4/23)

ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Asst. Prof. Dr. Alaa Kadhim Masood
University: Wasit University
College: College Of Arts
Email: akmasuood@uowasit.edu.iq

Keywords:
Self, agency, modernity, individual, rationalization

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	9 May 2024
Accepted	24 Jun 2024
Available online	1 Jul 2024

The active self-according to Alain Touraine

A B S T R A C T

Man was busy searching for things and developing them (understanding them - interpreting them - changing them), but he forgot himself or was transformed from his humanity. Therefore, philosophers and social scientists set out to search for the truth of man or his essence in collecting his various products, which are the result of what he looked at and applied to develop himself, and this is reflected in Based on what Turin has now investigated, the active self is the result of this knowledge. Between the fusion or destruction of the self in modernity, and the construction of the self-anew, we find a debate of contention between subjectivity and rationalization, even if they complement each other. Turin is trying to find the self or work to build it. This requires liberation from all domination (the domination of the commodity and power) together and listening to the voice of the self for the sake of freedom in the space in which he has mastered the work, which is the space of modernity, (modernity) which entrusted the mind with the task of discovering the laws of the world, and to... Awareness brings out the self in its human capacity to establish what he called (the active self). The self, which is the will of the individual and the group to be the creators of life, influencing it and not being subjugated, and this can only happen through the actor, self and philosophy

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3639

الذات الفاعلة عند آلان تورين

أ.م. د علاء كاظم مسعود/جامعة واسط / كلية الاداب

الخلاصة:

انشغل الانسان في البحث عن الاشياء وتطورها (فهمها- تفسيرها – تغييرها) لكن نسى ذاته او انمسخ عن انسانيته, لذلك انطلق الفلاسفة وعلماء الاجتماع في البحث عن حقيقة الانسان او جوهره في جمع نتاجاته المختلفة التي هي حصيلة ما نظر اليه وطبقه لتطوير ذاته, وهذا ينعكس على ما بحثه الآن تورين في الذات الفاعلة التي هي حصيلة هذه المعارف. بين انصهار الذات في الحداثة أو تدميرها، وبين بناء الذات من جديد، نجد جدل التخاصم بين الذاتية والعقلنة، وان كانا مكملاً أحدهما للأخر. يحاول تورين ايجاد الذات أو العمل على

بناءها، يتطلب ذلك التحرر من كل الهيمنات(هيمنة السلعة والسلطة) معاً والاستماع لصوت الذات من أجل الحرية في الفضاء الذي اجاد العمل به وهو فضاء الحداثة، (الحداثة) التي أوكلت الى العقل مهمة اكتشاف قوانين العالم، والى الوعي اخراج الذات بصفتها الانسانية ليؤسس لما أسماه (الذات الفاعلة). الذات التي هي ارادة الفرد والجماعة في ان يكونا صانعي الحياة مؤثرين فيها لا خاضعين ولا يكون ذلك الا من خلال الفاعل ذاتاً وفلسفة .

كلمات مفتاحية:الذات، الفاعلية، الحداثة، الفرد ، العقلنة.

المقدمة

شغلت الذات حيز تفكير الفلاسفة والعلماء, ومنهم علماء الاجتماع اذ بحثوا في ماهية الانسان من وصفه قادر مؤثر أو العكس, يتأثر بالمتغيرات طبيعية كانت او علمية, وهذا ما يمكن ملاحظته في زمن الحداثة بعد تحول الانسان الى مستهلك فحسب(كما بحثنا ذلك في الذات من التشيؤ الى التزييف في ضوء النظرية النقدية - مدرسة فرانكفورت) (مسعود، 2023), تعيد انتاجه الأيدولوجيات حسب مصالحها وما تريده هي مغيبة وعيه وحريته, لذلك دعا الان تورين الى تحرير الانسان من جديد بعد تخليق الذات وتحويلها الى فاعلة مؤثرة بما حولها والعالم.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ان البحث عن الذات والعمل على انتاجها من جديد بوساطة الوعي مهمة اخذت اهمية كبيرة لدى العلماء بعد تشتت الانسان ولضغوط الحياتية والاجتماعية التي قد انهكته, كل ذلك مع الاستبداد السياسي والبحث عن مخرج من كل هذه الضغوط والازمات على ان هذا الا يكون على حسابه من جديد في الانتماء الى كيان اجتماعي اخر قد يعيده مرة اخرى لما كان عليه, لذلك نجد تورين اهتم كثيرا بالإنسان من خلال الانظمة السياسية ومنها الديمقراطية وحقوق المواطنة والانسان ليعيد تعزيز الانسان ثقته بنفسه وما يمكن ان يؤسسه من تنظيمات أو حركات اجتماعية .

لم يميل تورين الى النسق مع اصحاب سوسيولوجيا النسق ولا الى الفعل مع اصحاب نظرية الفاعل الاجتماعي وانما العمل على جمعهم معا مكونا بذلك الذات الفاعلة, التي تكاد تكون أهم حدث وانعطافه في حياة تورين, ليست على المستوى العلمي والتنظيرات السوسيولجية التي جاء بها بل حتى على المستوى الشخصي وبما يخص حياته الخاصة على حد تعبيره بأن مرض زوجته ووفاتها حدى به أن يصفها ذاتاً فاعلة أو ذاتاً كبيرة وهذه جزء من تحولاته الفكرية وهذا كان جوابه عن سؤال في احدى المحاورات التي اجريت معه عام 1994م

عن الاثر الحاسم في حياته إذ يقول" إن الانقلاب الكبير في حياتي كان حول مفهوم الذات الفاعلة أو الذات الفردية (sujet) وفي الواقع كنت على الدوام ضد النزعة المجتمعية ant-isociologiste أولوية دور المجتمع " (كابان، 2013، ص 224), اذا كان احدى المقالات التي كتبها عن فكرة الاستغناء عن فكرة المجتمع, من أجل فضح الخطأ في اعتبار أن المجتمع فقط منظومة, تضطلع بوظائف محددة بدقة, وهو بذلك ينتقل من دور المجتمع الى دور الفرد من خلال تحرير الذات الفاعلة عبر تغيير العالم عن طريق العقل والتقنية والتقدم , فالأخير متلازم مع تحرير الفرد (كابان، 2013، ص 224)..

لذلك جاءت هذه الدراسة حول الذات الفاعلة وما يرافقها من عمليات سواء على مستوى تحريرها او خلقها من جديد او بنائها كما سيأتي منتقلين في ذلك مع بيان ماهية الذات في المحور الاول الى بيان فلسفة الفعل وصولا الى نظرية الفاعل الاجتماعي في المحور الثاني والثالث من الدراسة مؤثرين بذلك عملية الحداثة كاسيولوجيا وفلسفة.

اولاً- فلسفة الذات

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الذات عند تورين ليست مطابقة لمفهوم الفرد كما هو معروض في فلسفة جون لوك السياسية والتي تنظر الى الافراد كجواهر منعزلة مثلها مثل الذرات المادية في فيزياء نيوتن، تدخل فيما بينها في علاقات جذب وطرد، ولا هي الارادة الجماعية عند روسو والتي تذوب فيها إرادة الأفراد، ولكنها تتجسد لديه في مفهوم الفاعل الاجتماعي وهو المفهوم الذي يجعل العلاقة الاجتماعية بعداً أصيلاً في الفرد. أن الذات هي اسم الفاعل، عندما يكون على مستوى الفاعلية التاريخية لإنتاج توجهات كبرى معيارية للحياة الاجتماعية (مغيث،1997، ص11). وعلى ضوء علاقة الذات بالفاعل يمكن تعريف الذات على انها :-" ارادة فرد في التصرف وفي الاعتراف به كفاعل" (تورين، 1997، ص 274).

لعل اهم صفات الحداثة الا وهي الذاتية والعقلانية وقد يختزل دور الذات بالعقل، "ان من يريدون ان يطابقوا بين الحداثة والعقلية وحدها لا يتطرقون الى الذات الا لاختزالها الى العقل نفسه". (تورين،1997، ص274).ان الحداثة ليست فقط عقلنة، انها فصل الذات الفاعلة عن الطبيعة، فالتقاليد كانت تؤكد أن العالم هو في أن واحد عقلاني وغائي وبالتالي إن الذات الفاعلة والطبيعة ممتزجتان (كابان، 2013، ص 225)..

ويمكن القول ان تورين أكثر الفلاسفة وعلماء الاجتماع من جمع الذات والعقل من خلال الفاعل، وهذا ما تدل عليه إعماله في نقد الحداثة، والتي يبتعد فيها عن اطروحات ما بعد الحداثة، فهو لم يذهب الى ما ذهب اليه

اصحاب سوسيولوجيا النسق من دون فاعل(الماركسية، البنيوية) أو الذهاب الى القول في سوسيولوجيا الفاعل من دون نسق(التفاعلية)، لذلك اراد ان يبني سوسيولوجيا تطابق بين الفاعل والنسق. وهذا ما جعل الحداثة التي ارادها توران لا تنفصل عن الذات او العمل على اعادة بناءها أو تخليقها، ويتضح ذلك اكثر من اقتران تعريف الحداثة للذات اذ يعرفها:-" أنها تلك العلاقة المثقلة بالتوترات بين العقل والذات، بين الترشيد والتذييت (subjectivation)، بين روح النهضة وروح الاصلاح، وبين العلم والحرية" (روبير، 2012، ص 367), فالعقل والذات يندمج كل منهما بالأخر كعنصرين متحدين ضمن العناصر الثقافية للحداثة المفرطة، ان الحداثة التي كانت قد كتبت وأسقطت نصف حصيلتها بتطابقها مع نموذج غازي وثوري في التحديث، فنموذج الحداثة الجديدة يلغي الماضي تماماً، ويمكنها اخيراً ان تجد نصفها الاخر. والحداثة ليست الا علاقة وتوتر بين العقلانية والذاتية، بل أن غياب مثل هذا الاندماج بين هذين المبدأين أمر اساسي لتعريف الحداثة (تورين، 1997، ص288) وهذا ما ينعكس في تأثير الحرية على العلم والوعي.

ان توكيد الوعي ليس بالمهمة البسيطة عند الانسان وهذا ما يختلف به الافراد حسب البيئة التي نشأوا فيها أن توكيد المرء نفسه كذات حرة ومحلّ احترام هو النمط الاكثر رفعة للوعي – أكان شخصياً أم جماعياً – بالقدرة على ابتكار وتحويل الذات والعالم. فالحديث عند تورين عن وعي الذات يفوق الحديث عن الوعي ذاته, خوفاً من ادخال مبدأ غير انساني في تحديد السلوك, فالوعي في البلدان ذات الموروث التوحيدي, وبخاصة المسيحي, غالباً ما كان تعبيراً عن خضوع الفرد للقانون وارادة الله العليا. مثلا الحداثة في هذا السياق انتقالاً من القانون الالهي او الطبيعي الى القانون الانساني الواعي بقدرته وإرادته على الابتكار والتحويل الذاتي كما على التدمير الذاتي. (تورين، 2020, ص30).

ان انتاج الذات، كوجه مركزي للحداثة ليس ممكناً الا كان الوعي لا يفصل الجسد الفردي عن الادوار الاجتماعية ولا يفصل الوجوه القديمة للذات، التي تتخذ في الكون شكل الاله، عن الارادة الحاضرة لبناء النفس كشخص (تورين، 1997، ص 279).

ليس هناك ما يتعارض مع الذات أكثر من وعي الانا، فالذات تدمر الوعي مهما اختلف، وهي لا تدعو الى عقدة الذنب ولا الى الاستمتاع باللذات، إنها تدفع الفرد او الجماعة الى البحث عن الحرية عبر الكفاح ضد المسؤوليات الاجتماعية، ذاك ان الفرد ليس ذاتاً الا بالسيطرة على افعاله التي تقاومه، وهذه المقاومة ايجابية باعتبارها عقلية، لان العقل هو اداة الحرية، وقد تكون العقلية سلبية اذا استغلت وخرجت عن هدفها في تحرير الانسان

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

او الوعي، سلبية اذا وظفها اصحاب الكفاءة التكنوقراطيين والبيروقراطيين لفرض سلطتهم على من يحولوهم الى أدوات للإنتاج والاستهلاك (تورين، 1997، ص 277).

لم تكن الذات الفاعلة مجرد ممارسة الوعي، بل هي بحاجة الى الصراع الذي لا قيام للعمل الجماعي من دونه، لكنها تبقى فردية على الدوام، وحتى عندما تغوص في العمل الجماعي، تشعر انها المدافعة عن الحق العام. تلك كانت الحال طبعاً في عصر إعلان حقوق الانسان والمواطن، لكن الامر لم يعد كذاك في عصر القوميات والمعتقدات الطائفية (تورين ، 2011، ص 193).

ثانياً- فلسفة الفعل .

لم يكن تورين من اوائل السوسولوجين في التنظير للفعل الاجتماعي بل سبقه ماكس فيبر، إذ يعد ابرز رواده تاركاً بصمات واضحة في هذه النظرية منذ بداية القرن العشرين، وذلك بـــ "تجاوز التفسير العلمي نحو التأويل الذاتي والانساني من خلال التركيز على الفعل الاجتماعي بدلاً من البنية الاجتماعية، والتمييز بين العلوم الوضعية القائمة على التفسير السببي والعليّ، والعلوم الانسانية والثقافية المبنية على انجاز فهم الفعل الاجتماعي" (عدنني، 2013، ص 7). ولعل فيبر اقام السوسيولوجيا على الفعل الاجتماعي ولا يفصله بذلك عن اي نشاط , منتقلا بذلك من الموضوع الى الذات ويتضح ذلك من خلال تعريفه للسوسيولجيا بانها " العلم الذي يعنى بفهم الفعل أو النشاط الاجتماعي وتأويله، ومن ثم التفسير السببي لمساره ونتائجه" (عدنني، 2013، ص7), وبذلك لا ينفصل الفعل عن الفاعل او الذات في السوسيولوجية الاجتماعية عند تورين " إن العنصر الرئيسي للحركة الاجتماعية هو إذاً الفعل: الفعل ضدّ النظام الاجتماعي. إن طموح تورين ولاسيما في عملهُ المتأخر, هو بيان كيف أن مثل هذا التأكيد على الفعل لا يؤدي بصورة حتمية الى التطوعية(Voluntarism) أو الفردانية (Individualism) إذ أن كليهما لا يوفر نظرة ثاقبة الى فاعل الفعل: الى الذات التي تقوم بالفعل " (ليشته، 2008, ص395).

ان السوسيولوجيا التي تتناول بصورة اساسية فكرة الفعل باعتبارها الاساس للحياة الاجتماعية، سينظر الان الى الطبقات الاجتماعية على انها ذات ادوار فاعلة بدلا من كونها مجرد تجسيد لموقف يتميز بالتناقض وخلافا لماركس, يقول تورين لا توجد طبقة في ذاتها، ذلك لأنه لا توجد طبقة من دون وعي طبقي، فالطبقة الاجتماعية هي الفئة التي تعمل الحركة باسمها ومثال على ذلك الحركة النسوية (ليشته، 2008، ص 299) والعديد من الحركات الاجتماعية والسياسية .

ثالثاً- الفاعل الاجتماعي.

بحث الفاعل في فلسفة تورين يأتي بعد سلسلة من المفاهيم وهذا ما نجده في تحوله الفكري، فهو يبدا في التحليل الفاعلاني حول ست مصطلحات رئيسية وهي" التاريخانية، ونسق الفعل التاريخي والعلاقات الطبقية، والنسق المؤسساتي، والتنظيم الاجتماعي، والحركات الاجتماعية، ويضاف لها الفاعل(sujet) فيما بعد" (روبير، 2012، ص344) فالفاعل احدى اهم المحطات التي انتهى اليها تورين في التأسيس لما اسماه الذات الفاعلة .

قد أثرت المدارس السوسيولوجية على احياء دور الفاعل ضمن المجال العام والمجتمع بصورة خاصة، إذ ركزت على " الانطلاق من الفاعل الاجتماعي وإعادة تكوين المجال الاجتماعي الذي يعمل فيه، انطلاقاً منه بالذات ومن توقعاته وتفاعلاته" (تورين، 2011، ص11).

أن ما يرغب تورين في القيام به هو إعادة تقديم الذات من جديد على أنها : فاعل وحركة، وبهذا تحل محل فكرة (الطبقة) وفكرة (الموقف المعطى) أو المسبق، باعتبارها المحددات الرئيسية للفعل. فالهدف الرئيس هو اختراع الطريق لإنتاج اشكال أو حركات اجتماعية جديدة، أو ما يسهل حركة الاندماج في المجتمع من جديد (ليشته، 2008، ص 402).

يدخل الوعي بالذات بتحديد ماهية الفاعل عند تورين ويتضمن توحيد السلوكيات او التقاطع فيما بينها وانها عملية اكثر توتر مع مر سابقا في التوحيد بين الذاتية والعقلية فالأمر" يتعلق بالوعي بالذات de so conscienceأي بسلوكيات يتوقعها الاخرون ويحاول الفرد توحيدها، إنها مهمة بلا نهاية مشحونة بالنرجسية هذه الصورة هي صورة التشرنق Cocooning وصورة من سراب الانا الذي يريد التحكم بذاته بالانسحاب من العلاقات الاجتماعية المنخرط فيها والتي تهدده، أليس هذا متعارض تماماً مع ما أسميه الذات التي ليست هي الهم بالذات ولكنها دفاع عن القدرة في أن تصير فاعلاً (تورين، 1997، ص243).اي تعديل السلوك الاجتماعي ضد سطوة الاجهزة واشكال التنظيم الاجتماعي ومن خلالها تتكون ماهية الذات الفاعلة في عمل التحرر، والتي تنتقل بذلك الذات الفاعلة او تحقق وجودها في الحركات الاجتماعية كما سياتي في طبيعة الحراك الاجتماعي.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

قد يكون التشرنق ردة فعل لعمل التذّوت الذي "هو تماهي فرد أو مجموعة مع هئية الذات التي تتطابق مع حضارتهم وممارستهم, مثلما أن التنشئة الاجتماعية هي تماهي فرد أو مجموعة مع معايير وطرق تنظيم الحياة الاجتماعية زمانيا ومكانياً" (تورين، 2020, ص115), لذلك تعمل الذات على رفض ما تطبعت به من العادات و ما اكتسبته بالتنشئة وان كان ذلك ليس من السهل فكلما يخرج من سلوك قد نبذه يرجع اليه, ليس هذا فقط ما يعيق تحقيق الفاعلية الذاتية بل قد نجد توجهات أخرى قد تسخر الذات وتعمل على ادلجتها مهما كان شكلها، العولمة تارة, والطائفية والقومية تارة اخرى اذا تحاول ان تتحكم بالذات, بالمواقف والادوار وبذلك نجد" أنفسنا مدفوعين الى البحث داخل ذواتنا عن وحدتنا كذوات فاعلة, أي ككائنات قادرة على اكتساب وعي ذاتي قائم بذاته على إظهار هذا الوعي, ذلك ما يميز الذات الفاعلة من الانا، بل من الذات (soi)أيضاً, تلك التي تتكوّن باستبطان(interiorisation) الصور التي يكوّنها الآخرون عن الأنا. لا بكون الفرد, ولا الجماعة، ذاتاً فاعلة, عندما يتربعان فوق التصرفات العملية، بل إن الذات الفاعلة تكون أقوى وأشد وعياً لذاتها عندما تدافع عن نفسها ضد الهجمات التي تهدّد استقلاليتها وقدرتها على إدراك ذاتها كذات فاعلة موحّدة، أو على الأقل، عندما تناضل لكي تكون كذلك، كي اعرف نفسها ويعرفها الآخرون بهذه الصفة (تورين، 2011, ص170).

يحدد تورين مهمة علم الاجتماع بالتناسق بين مفهوم الفاعل والفعل، ينوي آلان تورين إعادة تعريف علم الاجتماع، ليس كدراسة وحيدة للفاعل، الذي قد يحدد موضوع العمل وتوجهاته، بل كدراسة للعمل الاجتماعي، أي عمل كائن تاريخي، تتحدد توجهاته بناءً على مجموعة من الظروف الاجتماعية، على العكس من التشرنق وتماهي الذات مع الاخرين او السلوكيات الاجتماعية المختلفة على حساب الذات، هنا يذهب تورين الى تذويت الذات، والتي ارتبطت مع الفردية" أود أن أقرن قدر الامكان ثيمة التفرّد بثيمة التذوّت، ذلك أننا سنعثر، لا ريب، على الذات الانسانية في التجربة الفردية كما في المؤسسات أو في صورة ابتكاريتنا الخاصة على الصعيد المجتمعي. في الواقع غالباً ما يبدأ الدرب نحو التذوت بعودة الذات الى ذاتها (retournement vers soi-meme) وهي العودة التي تنشأ عنها الذات(sujet) " (تورين، 2020، ص 197).

وهذا ما طبقه على الفاعل, لابد للفاعل المحتمل، إن أراد أن يكون ذاتاً تتوافر على إرادة وجود وفعل، من أن يشعر اولاً بالمسؤولية والقدرة على الفعل. تلك هي المرحلة الاولى لما يمكن تسميته تذوت الذات(subjectivation de soi). ذلك أن الفعل لا يوجد الفاعل، بل الفاعل هو من يبتكر الفعل، كالديموقراطية المشروطة بحب الحرية, على ان مسالة التذويت تمر بأربع مشكلات وهي:- (تورين، 2020، ص195) .

الاولى ترتبط بإعادة اكتشاف الفرد بوصفه موضعاً إلى أن أبحث وأجد فيه الذات والتذوّت.

الثانية :- تتعلق حول المسالة الانثوية وتحديد عالم العلاقات بين الطبيعة والثقافة.

الثالثة:- تتعلق في مسألة اللاجئين والمهاجرين، محاولاً قدر الامكان عدم خلق فجوة لا يمكن تجاوزها بين ضحايا وضع اقتصادي، وبين ضحايا الهيمنة الاجتماعية والثقافية.

الرابعة:- تتعلق في التساؤل على ما لسبيل إلى إعادة تقديم ثيمات الديمقراطية والحقوق الانسانية الاساسية في البلدان التي لاتني تزداد عدداً، والتي بخروجها من الاستعمار، لم تتبنّ النموذج السياسي للبلدان المستعمرة، لكنها تقوقعت داخل صيغ استبدادية- بل شمولية- يغذيها الحقد تجاه المهيمن القديم وهيمنته.

رابعاً- ماهية الذات الفاعلة .

التأكيد على فاعلية الذات او تحقيهما مهمة يذهب اليها الكثيرون في دراستها او العمل على تطبيقها اذ ان " فكر الذات في تعارض دائم مع الاعتقاد في نموذج معين للمجتمع لا يمكن لنا اليوم أن نومن بنظام اجتماعي او سياسي, على اختلاف الانظمة سواء كانت رأسمالية او اشتراكية والية الانتقال اليها فالكثير ممن يريدون التخلص من الانظمة الاستبدادية مهما كان نوعها رأسمالي او اشتراكي اكثر من الانتماء الى كيان اجتماعي جديد فالجهد والمحاولة هنا تتعلق بإظهار الذات في جميع ارجاء العالم . (تورين، 1997، ص 415).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تولد الذات من ظهور أكثر القضايا أهمية داخل شبكة من الممارسات الاجتماعية في صنف معين من المجتمع, وأياً كان صنف المجتمع, دينياً أم سياسياً أم عسكرياً في المقام الاول بحضور القضايا الاشد أهمية في هذا المجتمع وبالوعي الذي لدى الفاعل بانخراطه في ظرف يتيح له بلوغ القضايا الاشد أهمية، أو على العكس تدميرها" (تورين، 2020، ص 92).

لا تتكون الذات ولا تتحقق الا عبر الخلاص او التحرر من القوى المهيمنة والمسيطرة على المجتمعات سواء عبر القوة المادية المال والسلاح او عبر القوى الناعمة بتعبير زيجمونت اذ تتكون الذات الفاعلة عبر " الافلات من القوى والانظمة والسلطات التي تمنعنا من أن نكون ذواتنا, وتعمل على تحويلنا الى مكونة لنظامها وسلطتها القابضة على نشاط الجميع ومقاصدهم وتفاعلاتهم " (تورين، 2011, ص178), وهذا حال الانظمة الشمولية التي عملت على فلسفتها تحليلا ونقدا حنة آرندت في الغاء جميع الافعال والنشاطات العفوية.

ان الية التخلص من الهيمنة قد لا تكون حتى بالثورة والتمرد بعد اتساع الفجوة بين المهيمن والمهيمن عليه، ان الانسانية يمكن ان تتوب الى رشدها وانها ستتخلص بالأحرى من السياسة بدل التخلص من نفسها, وانه بفضل

حكومة عالمية تعمل على حل الدولة وتحويلها الى آلة إدارية، تحل الصراعات السياسية بطريقة بيروقراطية، وان كانت هذه الطريقة تؤول الى الاستبداد ايضاً وقد نصل الى حكومة استبدادية اكثر وحشية، لان البيروقراطية الخفية ليست اقل استبدادا بما انه لا احد يمارسها (ارندت، 2014, ص11) فالاستبداد والجهل والانعزال كلها عقبات تعوق عملية إنتاج الذات كذات فاعلة (تورين ،2011, ص173). وبذلك لا يمكن توجيه الاعتراض الى شخص محدد، لذلك عملت آرندت الى ادخال الناس كفاعلين او ناشطين داخل المجال السياسي وبذلك يكون معنى للسياسة او مجالا تعمل فيه بدلا من كل عمليات الالغاء او المنع.

يمكن التمييز في النظر الى الذات الفاعلة بين ما نظر اليه تورين عن من سبقه من الفلاسفة ومنهم انتوني جيدنز فالاختلاف يكمن في محورين (تورين، 2011, ص178-179):-

1- هو انني أحدد الذات الفاعلة بمقاومتها عالم الاستهلاك اللاشخصي، او عالم العنف والحرب... هي استحضار للذات, هي إرادة العودة الى الذات بعكس تيار الحياة العادية, إن فكرة الذات الفاعلة تستدعي إلى خاطري فكرة النضال الاجتماعي، إضافة الى فكرة الوعي الطبقي والشعور القومي. ولكن بمضمون مختلف ينأ عن كل تمظهر خارجي, ويتجه مع بقائه صراعياً نحو الذات بالكامل .

2- اما الاختلاف الثاني فهو مكمل للأول في ان الذات الفاعلة لا تطابق ذاتها أبداً بالكامل، بل تبقى مقيمة في عالم الحقوق والواجبات، عالم الاخلاقية، وليس عالم التجربة والاختبار.

الذات الفاعلة هي امتداد لما طرحناه في الجمع بين العقلية والذاتية، فهي ليس كعنصر من عناصر التعارض(الذات الفاعلة من جهة والعقل من جهة اخرى) اذ يعرفها تورين بأنها(تعبير محسوس عن رفض مزدوج وعن قرار, ان تكون ذات فاعلة)، هو أن تقييم رابطاً بين كونين، أن تحاول أن تعيش جسداً وروحاً، جسداً وعقلاً، عاطفة وعقلاً، هو أن تحقق نفسك بشكل ما عن طريق نداء نرجسي لذاتك كي تضفي معنى على الوجود، وعن طريق الصلة مع الغير، والاعتراف بالأخر كذات فاعلة. (كابان، 2013، ص 226). فكل عمليات تحرير الذات والعمل على تحقيقها خطوة اولى لتحقيق الذات الفاعلة. فالاعتراف بالأخر جزء من عمل تورين في كتابة ما هي الديمقراطية كانتماء ليس الى الهوية.

على اختلاف الحركات المحررة التي ارادت الخلاص من الظلم، من حركات الطبقة العمالية الى حركات الامم المستعمرة فإلى الحركات النسائية وحركات الاقليات المتنوعة، كانت غايتها ليس اثباتاً للذات كفاعل اجتماعي فحسب، بل كذات فاعلة شخصية، إن تقويض فكرة المجتمع لا تنجح الا لحساب بناء الذات الفاعلة، والبحث عن طريق لا يلتمس المنفعة ولا السلطة ولا المجد، بل يوكد كرامة كل كائن انساني والاحترام الذي يستحق.

(تورين، 2011، ص155),من هنا بالإمكان بناء مفاهيم الاعتراف وقبول الاخر والاحترام من خلال بناء فكرة الذات الفاعلة .

أن ما يرغب تورين في القيام به هو إعادة تقديم الذات من جديد على أنها : فاعل وحركة، وبهذا تحل محل فكرة (الطبقة) وفكرة (الموقف المعطى) أو المسبق, باعتبارها المحددات الرئيسية للفعل. فالهدف الرئيس هو اختراع الطريق لإنتاج اشكال او حركات اجتماعية جديدة، أو ما يسهل حركة الاندماج في المجتمع من جديد (ليشته، 2008، ص402).

والسؤال المهم في فلسفة تورين هو الية الانتقال من النفس المتطبعة الى الذات الفاعلة . ما هو المبدأ الذي يكمن تحت هذه الحركة ؟ (ليشته، 2008، ص402) وبصورة اخرى يحاول أن يؤسس تورين أو ينتقل من الذات الفارغة الى الذات الفاعلة والاولى هي الذات المتحررة من كل الافكار والأيدولوجيات, فالفاعلة لا تكون كذلك، فاعلة ومؤثرة اذا لم تكن متحررة " ينبغي للذات الفارغة، أن تتخلص من ذاتيتها لتبنى في قوله: لا يمكننا الارتكاز على الذاتية، فهي استنباط للعالم الخارجي، من خلال لغة أنطق بها ومقولات التجارب الحساسة والتثقيفية التي استعملتها، وضغط المجموعات أو الجماعات، والانتماء لجنس وسن وطبقة، ألم نبحث في أعماق أنفسنا عن ذاتية مؤسسة على نفسها، فهذا سبب رجوعي بكثرة إلى مسالة الذات الفارغة. لا توجد ذاتية باعتبارها أساساً بل بصفتها نظرة للعالم تحرر الذاتية" (دوران، 2012، ص 370).

إن بناء الذات عملية للذاتية، من خلالها تعيش الذات توتراً بين ما هي عليه، وما كانت عليه تحت هيمنة العقل والسلطات والتكنولوجيات – العقل الأدائي- وما تعمله حتى تكون في مشروع اجتماعي ثقافي، وهنا تبرز أهمية علاقات الذات بالذات ضمن عملية الذاتية التي تنبي الذات، فليست الذات حرية فحسب ، ولكنها تحرر كذلك. وهنا يذهب تورين الى مرادفة الذات مع الحركة الاجتماعية من حيث التحرر والتأثير. (دوران، 2012، ص371).

ان تحقيق الذات هو ولوج الذات الى الفرد وبالتالي هو التحول – الجزئي- للفرد الى ذات. إن ما كان نظاماً للعالم صار مبدأ لتوجهات السلوك. وتحقيق الذات هو نقيض خضوع الفرد لقيم تتجاوزه... ان ما يصبح بالنسبة له اساس القيم, باعتبار أن المبدأ المركزي للأخلاق صار هو الحرية, هو الابداع الذي اصبح غاية له, ويتعارض مع كل الاشكال التبعية. (تورين، 1997، ص 277) وان تحقيق الذات هو جزء من التحرر من التبعية والهيمنة والرجوع الى الحرية.

قد تقع على الذات اعادة بناء الحقل الثقافي وجمع مؤسساته المختلفة," لا ينبغي ان ينظر للذات على انها وسيلة لتوحيد العناصر المنفرطة للحداثة: الحياة والامة والاستهلاك والمؤسسة الاجتماعية، ولكن هي التي تربطهم ببعضهم، ناسجة بينهم شبكة متينة من علاقات التكامل والتعارض . فكرة الذات تعيد بناء الحقل الثقافي المنفرط, والذي لم يستطيع أبدا بعد انتقادات ماركس ونيتشة وفرويد، العودة الى الوضوح والشفافية التي كانتا تميزانه اثناء فلسفة التنوير, الذات ليس فردا منغلقاً على ذاته باي صورة من الصور" (تورين، 1997، ص 290)

اذ ان مهمة الذات الفاعلة, المسؤولية النقدية في تحديد توجهاتها, والخروج من حالة الكبت والاستلاب الفكري الذي تفقد فيه قدرتها على صياغة وعي مغاير, يتخطى الحواجز العرفية للثقافة السائدة نحو التحرر من التبعية لمنظومة الانساق المهيمنة, فتتجه بعد نضجها في تحديد وجهتها والبحث عن تفردها, وسط كم متراكم من الانساق والأيدولوجيات, فتبدا بالتمرد – نتيجة ازدواجية الفكر النسقي- تمرد على التبعية والاستبداد, هكذا تعي الذات الفاعلة نفسها وتدرك الثقافة الجمعية. (زهرة، 2023، ص 719).

الا ان تورين لم يقف عن الذات الفاعلة بل تخطاها الى الحركة العامة وما ينتج منها من الحركات الاجتماعية، وهنا يمكن المقارنة بين المجتمعات المغلقة والمجتمع المفتوح، ان تخطي صور الذات الفاعلة المعاصرة الى الحركة العامة التي أظهرت الذات الفاعلة مجدداً. وهنا تحدث المقارنة بين الذاتية والموضوعية فالأخيرة هي صاحبة الامر في النموذج الاوربي الذي ينطلق منه التحديث، فهي تطابق بين الملك والمملكة والمالك وأرضه, بخلاف الذاتية التي هي تعبير الخاضع, سواء أكان عبداً أم امرأة أم عاملاً . وبقدر ما راحت مظاهر السيطرة تضعف تحت وطأة الحركات الاجتماعية استطاع الخاضعون أن يستعيدوا ذاتية محررة من دونيتها (تورين، 2011, ص171). فالاستعادة تكمن بفعل التذّوت الذي يجعل الفرد أو المجموعة حاملاً للحقوق الانسانية الأساسية، أي يجعلهم ممثلين عن حركة اجتماعية, مهما كان نوعها ديمقراطي سياسي او اخلافي , ألا ان كل هذه الحركات تدخل ضمن الصراع الاجتماعي، دفاعاً عن مصالح متعارضة اجتماعية ضمن توجهات ثقافية واحدة لمن يقود الصراع, سواء المهيمنين أو المهيمن عليهم (تورين 2020، ص115-116).

- **الخاتمة.**

ان بحث الذات وعلاقتها في الوعي والية التحرر في زمن الحداثة وهيمنة الأيدولوجيات من المهام الصعبة, في بيان موقع الانسان وتحديد مصيره في خضم هذه التطورات والثورات العلمية والصناعية المتسارعة، لذلك جاء تورين ليحدد مهمة الفكر وتحويل وضع الانسان من مستهلك يجري وراء ما تأتي به هذه الصناعات الى مصدر التغيير للأحداث والنشاطات وصانع الحركات الاجتماعية بوساطة الذات الفاعلة, الذات التي انتقلت من

حالة التكييف من الاوضاع الاجتماعية المختلفة مثلما عبر عنها بحالة التشرنق الى حالة ثابتة ومستقرة لوضع الانسان ولا يكون ذلك الا من خلال التذييت (العودة الى الذات).

الذات الفاعلة لا تتحقق ولا يمكن اظهارها من دون وجود الفاعل الاجتماعي اذ مع الفعل تحقق الذات وجودها مركزا بذلك على اهمية الوعي في تحرير الانسان من كل الهيمنات ومنها الاستبداد السياسي وبذلك حقننا وجود ذات منفردة مستقلة.

يظهر تورين اهمية حقوق المواطنة والديمقراطية في وجود او تحقيق هذه الذات(الذات الفاعلة) اذ ان من الاهمية ايجاد الظروف الملائمة في ايجاد الذات او العمل على تخليقها ولا يكون ذلك الا في التحرر من الاستبداد السياسي وعدم اختزال الانسان او دوره في حركة سياسية او كيان اجتماعي.

هوامش البحث

1- فيليب- جان فرانسوا دورتيه كابان. *علم الاجتماع* (من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية – اعلام ونواريخ وتيارات) (المجلد الثانية). (إياس حسن د، المترجمون) سوريا: (2013) دار الفرقد ص225.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

2- - فيليب- جان فرانسوا دورتيه كابان. علم الاجتماع ص225.

3- علاء كاظم مسعود الربيعي أ. (2023). الذات من التشيؤ الى التزييف في ضوء النظرية النقدية .*لارك*-1183 ,(3)*15* , 1169. https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss50.3208

4- أنور مغيث، مقدمة*نقد الحداثة* (المجلد الاولى). ألان تورين. (1997) المجلس الاعلى للثقافة / المشروع القومي للترجمة . ص11.

5- ألان تورين,*نقد الحداثة* (المجلد الاولى). (أنور مغيث، المترجمون) المجلس الاعلى للثقافة / المشروع القومي للترجمة (1997) ص274.

6- ألان تورين.. *نقد الحداثة* ص274.

7- ألان تورين.. *نقد الحداثة* ص274.

8- فيليب- جان فرانسوا دورتيه كابان. *علم الاجتماع*, ص225.

9- دوران، جان بيار. فايل، روبير.. *علم الاجتماع المعاصر* (المجلد الاولى). (د. ميلود طواهري، المترجمون) الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع / دار الروافد الثقافية (2012) ص367.

10- ألان تورين.. *نقد الحداثة* ص288.

11- ألان تورين. الحداثة المتجددة (المجلد الاولى). (جلال بدلة، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الساقي. (2020).ص30

10 - الان تورين.. *نقد الحداثة*ص279.

11 - الان تورين.. *نقد الحداثة*ص277.

12 - آلان تورين. *براديمغا جديدة (لفهم عالم اليوم)* (المجلد الاولى). (مراجعة: ريشا سميرة جورج سليمان، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة/ مركز دراسات الوحدة العربية, (2011), ص193,

13 - إكرام عدنني. *سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر* (المجلد الاولى). بيروت، لبنان : منتدى المعارف 2013- ص7.

14 - إكرام عدنني. *سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر*ص7.

15 - جون ليشته.. *خمسون مفكراً أساسياً معاصراً* (المجلد الاولى). (فاتن البستاني . مراجعة :- د. محمد بدوي د، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة/ مركز دراسات الوحدة العربية(2008), ص395.

16 - جون ليشته.. *خمسون مفكراً أساسياً معاصراً، ص229*

17 - دوران، جان بيار. فايل، روبير.. *علم الاجتماع المعاصر*, ص344.

18 - أنور مغيث، مقدمة*نقد الحداثة*, ص11.

19 - جون ليشته.. *خمسون مفكراً أساسياً معاصراً ص402.*

20 - الان تورين.. *نقد الحداثة*ص243.

21 - ألان تورين. الحداثة المتجددة , ص115.

22 - آلان تورين. *براديمغا جديدة لفهم عالم اليوم* ,ص170.

23 - ألان تورين. الحداثة المتجددة,ص197.

24 - ألان تورين. الحداثة المتجددة, ص195.

25 - ألان تورين.. *نقد الحداثة* ص 415.

26 - ألان تورين. الحداثة المتجددة, ص92.

27 - آلان تورين. *براديمغا جديدة لفهم عالم اليوم, ص178.*

28 - حنة ارندت. (2014). مالسياسة (المجلد اللاولى). (د. زهير الخويلدي. أ. سلمى بالحاج مبروك، المترجمون) الرباط: الاختلاف- ضفاف , ص11.

29 - آلان تورين. براديمغا جديدة لفهم عالم اليوم, ص173.

30 - آلان تورين. براديمغا جديدة لفهم عالم اليوم, ص178-179.

31 - فيليب- جان فرانسوا دورتيه كابان. *علم الاجتماع*, ص226.

32 - آلان تورين. براديمغا جديدة لفهم عالم اليوم , ص155.

33 - جون ليشته.. *خمسون مفكراً أساسياً معاصراً* , ص402.

34 - جون ليشته.. *خمسون مفكراً أساسياً معاصراً* , ص402.

35 - دوران، جان بيار. فايل، روبير.. *علم الاجتماع المعاصر, ص370.*

36 - دوران، جان بيار. فايل، روبير.. *علم الاجتماع المعاصر*, ص371.

37 - ألان تورين.. *نقد الحداثة,277.*

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

38 - ألان تورين.. *نقد الحداثة*,ص290.

39 - زلاط. - د فتوح محمود زهرة , وعي الذات الفاعلة في ترميم الانساق الثقافية. *دراسات معاصرة*،(2 حزيران, 2023), ص719.

40 - آلان تورين. براديمغا جديدة لفهم عالم اليوم, ص171.

41 - ألان تورين. الحداثة المتجددة, ص115-116.

المصادر والمراجع.

1- إكرام عدنني. (2013). *سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر* (المجلد الاولى). بيروت، لبنان : منتدى المعارف.

2- - ألان تورين. (1997). *نقد الحداثة* (المجلد الاولى). (أنور مغيث، المترجمون) المجلس الاعلى للثقافة / المشروع القومي للترجمة .

3- - آلان تورين. (2011). *براديمغا جديدة (لفهم عالم اليوم)* (المجلد الاولى). (مراجعة: ريشا سميرة جورج سليمان، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة/ مركز دراسات الوحدة العربية.

4- ألان تورين. (2020). *الحداثة المتجددة* (المجلد الاولى). (جلال بدلة، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الساقي.

5- جون ليشته. (2008). *خمسون مفكراً أساسياً معاصراً* (المجلد الاولى). (فاتن البستاني . مراجعة :- د. محمد بدوي د، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة/ مركز دراسات الوحدة العربية.

6- حنة ارندت. (2014). *مالسياسة* (المجلد اللاولى). (د. زهير الخويلدي. أ. سلمى بالحاج مبروك، المترجمون) الرباط: الاختلاف- ضفاف.

7- دوران، جان بيار. فايل، روبير. (2012). *علم الاجتماع المعاصر* (المجلد الاولى). (د. ميلود طواهري، المترجمون) الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع / دار الروافد الثقافية.

8- زلاط. - د فتوح محمود زهرة. (2 حزيران, 2023). وعي الذات الفاعلة في ترميم الانساق الثقافية. *دراسات معاصرة*، الصفحات 715-722.

9- علاء كاظم مسعود الربيعي أ. (2023). الذات من التشيؤ الى التزييف في ضوء النظرية النقدية .*لارك*-1183 ,(3)*15* , 1169. https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss50.3208

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

10- فيليب- جان فرانسوا دورتيه كابان. (2013). *علم الاجتماع* من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية – اعلام ونواريخ وتيارات (المجلد الثانية). (إياس حسن د، المترجمون) سوريا: دار الفرقد.

sources and references.

1- Ikram Adenni. (2013). The sociology of religion and politics according to Max Weber (Volume One). Beirut, Lebanon: Knowledge Forum.

2- - Alain Touraine. (1997). Criticism of Modernity (Volume One). (Anwar Moghaith, The Translators) Supreme Council of Culture / National Translation Project.

3- - Alain Touraine. (2011). New paradigms (to understand today's world) (Volume One). (Review: Risha Samira George Suleiman, The Translators) Beirut, Lebanon: Arab Organization for Translation/Center for Arab Unity Studies.

4- Alain Touraine. (2020). Renewed Modernity (Volume One). (Jalal Badla, the translators) Beirut, Lebanon: Dar Al-Saqi.

5- John Lichte. (2008). Fifty key contemporary thinkers (Volume One). (Faten Al-Bustani. Reviewed by: Dr. Muhammad Badawi, The Translators) Beirut: Arab Organization for Translation/Center for Arab Unity Studies.

6- Hannah Arendt. (2014). Politics (Volume One). (Dr. Zuhair Al-Khuwailidi. A. Salma Belhaj Mabrouk, translators) Rabat: Difference - Defaf.

7- Duran, Jean-Pierre. Weil, Robert. (2012). Contemporary Sociology (Volume One). (Dr. Miloud Touahri, the translators) Algeria: Ibn al-Nadim for Publishing and Distribution/Dar al-Rawafed Cultural House.

8- Zalat. - Dr. Fattouh Mahmoud Zahra. (June 2, 2023). Awareness of the active self in restoring cultural patterns. Contemporary Studies, pp. 715-722

9- - Alaa Kazem Masoud. (2023). The self from objectification to falsification in light of critical theory. Lark Journal of Philosophy, Linguistics and Social Sciences, Vol. 2, Iss: 50, pp 1169-1183 https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss50.3208

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

-10Philippe-Jean-François Dorthe Caban. (2013). Sociology (Vol. II). (Iyas Hassan D., The Translators) Syria: Dar Al-Farqad.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية